ذكر مسير بُخْتَ نَصر إلى بني إسرائيل[1]

قد اختلف العلماء في الوقت الذي أُرسل فيه بخت نصّر[2] على بني إسرائيل.

فقيل: كان في عهد إرْمِيا النبيّ[3]، ودانيال[4] وحنانيا[5] وعزاريا[6] وميشائيل[7].

وقيل: إنّما أرسله الله على بني إسرائيل لما قتلوا يحيَى بن زكريّا.

والأوّل أكثر.

وكان ابتداء أمر بخت نصّر ما ذكره سعيد بن جبير قال: كان رجل من بني إسرائيل يقرأ الكتب، فلمّا بلغ إلى قوله تعالى: ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَنَا أُولي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾[8]. قال: أيْ ربّ، أرِني هذا الرجلَ الذي جعلتَ هلاك بني إسرائيل على يده، فأُري في المنام مسكيناً يقال له بخت نصّر ببابل، فسار على سبيل التجارة إلى بابل، وجعل يدعو المساكين ويسأل عنهم، حتى دلّوه على بخت نصّر، فأرسل من يحضره، فرآه صعلوكاً مريضاً، فقام عليه في مرضه يعالجه حتى برىء[9]، فلما برِىء أعطاه نفقة وعزم على السفر، فقال له بخت نصّر وهو يبكي: فعلتَ معي ما فعلتَ ولا أقدر على مجازاتك! قال

---

(١) المعارف لابن قتيبة ٤٧، تاريخ اليعقوبي ١/٦٥، تاريخ الطبري ١/٥٤٥، تفسير الطبري ١٥/٢٢، ٢٣، مروج الذهب ١/٦١ و٢٢٨، البدء والتاريخ ٣/١١٤، تاريخ المنبجي ١/٩٧، تاريخ مختصر الدول ٤١، ٤٢، مرآة الزمان ١/٥٤٧ وما بعدها، عرائس المجالس ٢٦٣، نهاية الأرب ١٥/١٥٨، غرر أخبار الفرس وسيرهم للثعالبي ـ طبعة باريس ٤٤، البداية والنهاية ٢/٣٤، تاريخ ابن خلدون ٢/١٦٠.

(٢) ويقال إن اسمه بالفارسية «بخترشه». (الغرر للثعالبي ٤٤).

(٣) أنظر عنه في عرائس المجالس ٢٦٢.

(٤) أنظر عنه في عرائس المجالس ٢٦٦.

(٥) في الطبعة الأوربية «حننيا» مثل الطبري ١/٥٤٤.

(٦) في تاريخ الطبري ١/٥٤٤ «عازريا»، وهو «عزير» في عرائس المجالس ٢٧٢.

(٧) في النسختين (ب) و(ت): «ميلسابيل».

(٨) الإسراء/٥.

(٩) في الطبعة الأوربية، وطبعة صادر ١/٢٦١ «برأ»، وهو خطأ.

الإسرائيليّ: بلى تقدر عليه، تكتب لي كتاباً إن ملكتَ أطلقتني[1]. فقال: أتستهزيء بي؟ فقال: إنّما هذا الأمر لا محالة كائن[2].

ثمّ إنّ ملك الفرس أحبّ أن يطّلع على أحوال الشام، فأرسل إنساناً يثق به[3]، ليتعرّف له أخبارَه وحالَ مَنْ فيه، فسار إليه ومعه بخت نصّر فقير، لم يخرج إلّا للخدمة. فلمّا قدِم الشامَ رأى أكبر بلاد الله خيلاً ورجالاً وسلاحاً، ففتّ ذلك في ذَرْعه، فلم يسأل عن شيء، وجعل بخت نصّر يجلس مجالس أهل الشام، فيقول لهم: ما يمنعكم أن تغزوا بابل، فلو غزوتموها ما دون بيت مالها شيء! فكلّهم يقول له: لا نحسن القتال ولا نراه. فلمّا عادوا أخبر الطليعة بما رأوا من الرجال والسلاح والخيل، وأرسل بخت نصّر إلى الملك يطلب إليه أن يحضره ليعرّفه جليّة الحال، فأحضره، فأخبره بما كان جميعه.

ثمّ إنّ الملك أراد أن يبعث عسكراً إلى الشام، أربعة آلاف راكب جريدة، واستشار فيمن يكون عليهم، فأشاروا ببعض أصحابه، فقال: لا بل بخت نصّر، فجعله عليهم، فساروا فغنموا، وأوقعوا ببعض البلاد، وعادوا سالمين[4].

ثمّ إنّ لهراسب استعمله إصبهبذ على ما بين الأهواز إلى أرض الروم، من غربيّ دجلة.

وكان السبب في مسيره إلى بني إسرائيل، أنّه لما استعمله لهراسب كما ذكرنا، سار إلى الشام، فصالحه أهلُ دمشق وبيت المقدس، فعاد عنهم وأخذ رهائنهم، فلمّا عاد من القُدس إلى طبرية وثب[5] بنو إسرائيل على مَلكهم الذي صالح بخت نصّر فقتلوه وقالوا: داهنتَ أهلَ بابل وخذلتَنا، فلمّا سمع بخت نصّر [بذلك]، قَتَل الرهائنَ الذين معه، وعاد إلى القدس فأخربه[6].

وقيل: إنّ الذي استعمله إنّما كان الملك بَهْمن بن بشتاسب بن لهراسب[7]، وكان بخت نصّر قد خدم جدّه وأباه، وخدمه، وعُمّر عمراً طويلاً. فأرسل بهمن رُسُلاً إلى ملك بني إسرائيل ببيت المقدس، فقتلهم الإسرائيليّ، فغضب بهمن من ذلك، واستعمل

---

(١) في تاريخ الطبري ١/٥٤٦ «أطعتني»، وهو أصحّ.

(٢) الطبري ١/٥٤٥، ٥٤٦، وانظر عرائس المجالس ٢٦٥.

(٣) في الطبعة الأوربية «يثق إليه».

(٤) تاريخ الطبري ١/٥٤٦، ٥٤٧، تفسير الطبري ١٥/٢٢، ٢٣.

(٥) في الطبعة الأوربية «وثبوا» وهو غلط.

(٦) نهاية الأرب ١٥/١٥٨.

(٧) في البدء والتاريخ ٣/١١٥ «بهمن بن اسفنديار».

بخت نصّر على أقاليم[1] بابل وسيّره في الجنود الكثيرة، فعمل بهم ما نذكره.

هذه الأسباب الظاهرة.

وإنّما السبب الكلّيّ الذي أحدث هذه الأسباب الموجبة للانتقام من بني إسرائيل، هو معصية الله تعالى، ومخالفة أوامره، وكانت سُنّة الله تعالى في بني إسرائيل أنّه إذا ملّك عليهم ملكاً، أرسل معه نبيّاً يرشده ويهديه إلى أحكام التوراة. فلمّا كان قبل مسير بخت نصّر إليهم، كثُرت فيهم الأحداث والمعاصي، وكان الملك فيهم يقونيا بن يوياقيم[2]، فبعث الله إليه إرميا[3].

قيل: هو الخضر، عليه السلام، فأقام فيهم يدعوهم إلى الله وينهاهم عن المعاصي، ويذكر لهم نعمةَ الله عليهم بإهلاك سَنْحاريب، فلم يرعووا، فأمره الله أن يحذّرهم عقوبته، وأنّه إن لم يراجعوا الطاعةَ، سلّط عليهم مَنْ يقتلهم ويسبي ذراريّهم ويخرّب مدينتهم، ويستعبدهم، ويأتيهم بجنود ينزع من قلوبهم الرأفة والرحمة، فلم يراجعوها، فأرسل الله إليه: لأقيّضنّ لهم فتنة تَذَر الحليمَ[4] حيرانَ[5]، ويضلّ فيها رأي ذي الرأي وحكمةُ الحكيم، ولأسلّطنّ عليهم جبّاراً قاسياً عاتياً، أُلبسه الهيبة، وأنزع من صدره الرحمة، يتبعه عددٌ مثل سواد اللّيل، وعساكر مثل قطع السحاب، يُهلك بني إسرائيل، وينتقم منهم، ويخرّب بيت المقدس.

فلمّا سمع إرميا ذلك صاح وبكى وشقّ ثيابَه. وجعل الرمادَ على رأسه، وتضرّع إلى الله في رفْع ذلك عنهم في أيّامه.

فأوحى الله إليه: وعزّتي لا أُهلك بيتَ المقدس وبني إسرائيلَ، حتى يكون الأمر من قبلك في ذلك. ففرح إرميا، وقال: لا والذي بعث موسى وأنبياءه[6] بالحقّ، لا آمر بهلاك بني إسرائيل أبداً.

وأتَى ملكَ بني إسرائيل فأعلمه بما أُوحي إليه، فاستبشر وفرح، ثمّ لبثوا بعد هذا الوحي ثلاث سنين، ولم يزدادوا إلاّ معصيةً وتمادياً في الشرّ، وذلك حين اقترب هلاكهم،

---

(١) في النسخة (ر): «إقليم».

(٢) هو «يواخيم بن يواقيم» في تاريخ المنبجي ١/٩٧، ويوياخين، في تاريخ ابن العبري ٤١.

(٣) في عرائس المجالس ٢٦٢ «أرميا بن خلقيا».

(٤) في النسخة (ر): «الحكيم» وهو تحريف. وفي تاريخ الطبري ١/٥٥٠ «يتحيّر فيها الحليم».

(٥) في الطبعة الأوربية «حيراناً». وصُحّحت في طبعة صادر ١/٢٦٣.

(٦) في النسخة (ب): «وتبناه».

فقلّ[1] الوحي، حيث لم يكونوا هم يتذكّرون. فقال لهم ملكهم: يا بني إسرائيل انتهوا عمّا أنتم عليه، قبل أن يأتيكم عذابُ الله! فلم ينتهوا، فألقى الله في قلب بخت نصّر أن يسير إلى بني إسرائيل ببيت المقدس، فسار في العساكر الكثيرة التي تملأ الفضاء.

وبلغ ملكَ بني إسرائيل الخبرُ، فاستدعى إرميا النبيّ، فلمّا حضر عنده قال له: يا إرميا أين ما زعمتَ أنّ ربّك أوحى إليك أن لا يهلك بيت المقدس حتى يكون الأمر منك؟ فقال إرْمِيا: إنّ ربّي لا يُخلف الميعاد، وأنا به واثقٌ.

فلمّا قرُب الأجل، ودنا انقطاع مُلكهم، وأراد الله إهلاكهم، أرسل الله مَلكاً في صورة آدميّ إلى إرميا، وقال له: استفتِه، فأتاه وقال له: يا إرميا أنا رجل من بني إسرائيل، أستفتيك في ذوي رَحِمِي، وصلتُ أرحامهم بما أمرني الله به، وأتيتُ إليهم حُسناً وكرامة، فلا تزيدهم كرامتي إيّاهم إلاّ سخطاً لي، وسوءَ سيرةٍ معي، فأَفْتِني فيهم. فقال له: أحسِنْ فيما بينك وبين الله، وصِلْ ما أمرك الله به أن تصله. فانصرف عنه الملَك، ثمّ عاد إليه بعد أيّام في تلك الصورة، فقال له إرْميا: أَمَا طَهُرَتْ أخلاقهم، وما رأيتَ منهم ما تريد؟ فقال: والذي بعثك بالحقّ ما أعلم كرامةً يأتيها أحدٌ من النّاس إلى ذوي رحِمه إلاّ وقد أتيتُها إليهم، وأفضل من ذلك. فلم يزدادوا إلاّ سوء سيرة. فقال: إرجع إلى أهلك وأحسِن إليهم. فقام المَلَكُ من عنده. فلبث أيّاماً.

ونزل بخت نصّر على بيت المقدس بأكثر من الجراد، ففزع منهم بنو إسرائيل، وقال ملكهم لإرميا: أين ما وعدك ربّك؟ فقال: إنّي بربّي واثق.

ثمّ إنّ المَلك الذي أرسله الله يستفتي إرميا، عاد إليه وهو قاعد على جدار بيت المقدس، فقال مثل قوله الأوّل، وشكا أهله وجَورهم، وقال له: يا نبيّ الله كلّ شيء كنت أصبر عليه قبل اليوم، لأنّ ذلك كان فيه سُخْطي، وقد رأيتهم اليوم على عمل عظيم من سَخَط الله تعالى، فلو كانوا على ما كانوا عليه اليوم لم يشتدّ عليهم غضبي، وإنّما غضبتُ اليومَ لله وأتيتُك لأخبرك خبرهم، وإنّي أسألك بالله الذي بعثك بالحقّ، إلاّ ما دعوتَ الله عليهم أن يهلكوا. فقال إرميا: يا ملك السموات والأرض، إن كانوا على حقّ وصواب فأبقهم، وإن كانوا على سخطك وعمل لا ترضاه فأهلكهم. فلمّا خرجت الكلمة من فيه، أرسل الله صاعقةً من السماء في بيت المقدس، والتهب مكانُ القُربان، وخُسِف بسبعة أبواب من أبوابها.

فلمّا رأى ذلك إرميا صاح وشقّ ثيابه، ونبذ الرمادَ على رأسه، وقال: يا مِلك

---

(١) في النسخة (ب): «فقد». والمثبت يتفق مع الطبري ١/٥٥٠.

السموات والأرض، يا أرحم الراحمين! أين ميعادك، أيا ربّ، الذي وعدتَني به؟ فأوحى الله إليه، أنّه لم يُصبْهم ما أصابهم إلاّ بفتياك التي أفتيتَ رسولَنا؛ فاستيقن أنّها فُتْياه، وأنّ السائل كان من عند الله، وخرج إرْميا حتى خالط الوحشَ.

ودخل بخت نصّر وجنودُه بيتَ المقدس، فوطيء الشامَ، وقتل بني إسرائيل حتى أفناهم، وخرّب بيت المقدس، وأمر جنوده، فحملوا التراب وألقوه فيه حتى ملأوه، ثمّ انصرف راجعاً إلى بابل، وأخذ معه سبايا بني إسرائيل، وأمرهم، فجمعوا من كان في بيت المقدس كلّهم، فاجتمعوا، واختار منهم مائة ألف صبيّ، فقسمهم على الملوك والقوّاد الذين كانوا معه، وكان من أولئك الغلمان دانيال النبيّ، وحنانيا، وعزاريا، وميشائيل، وقسّم بني إسرائيل ثلاث فِرَق[1]، فقتل ثُلثاً، وأقرّ بالشام ثلثاً، وسبى ثلثاً، ثمّ عمّر الله بعد ذلك إرميا، فهو الذي رُئي بفلوات الأرض والبلدان.

ثمّ إنّ بخت نصّر عاد إلى بابل وأقام في سلطانه ما شاء الله أن يقيم. ثمّ رأى رؤيا، فبينما هو قاعد قد أعجبه ما رأى، إذ رأى شيئاً أنساه ما رأى، فدعا دانيال، وحنانيا، وعزاريا، وميشائيل، وقال: أخبروني عن رؤيا رأيتُها فأُنسيتُها، ولئن لم تخبروني بها وبتأويلها لأنزعنّ أكتافكم! فخرجوا من عنده، ودعوا الله وتضرّعوا إليه، وسألوه أن يُعلمهم إيّاها، فأعلمهم الذي سألهم [عنه]، فجاءوا إلى بخت نصّر فقالوا: رأيتَ تمثالاً. قال: صدقتم. قالوا: قدماه وساقاه من فُخّار، ورُكْبتاه وفخِذاه من نحاس، وبطنه من فضّة، وصدره من ذَهَب، ورأسه وعُنقه من حديد، فبينما أنت تنظر إليه قد أعجبك أرسل الله عليه صخرة من السماء فدقّته، وهي التي أنستْك الرؤيا! قال: صدقتم، فما تأويلها؟ قالوا: أُريتَ مُلْكَ الملوك، وبعضهم كان ألْين مُلكاً من بعض، وبعضهم كان أحسن مُلكاً من بعض، وبعضهم أشدّ، وكان أوّل الملك الفخّار، وهو أضعفه وألْينه، ثمّ كان فوقه النحاس، وهو أفضل منه وأشدّ، ثمّ كان فوق النحاس الفِضّة، وهي أفضل من ذلك وأحسن، ثمّ كان فوقها الذهب، وهو أحسن من الفضّة وأفضل، ثمّ كان الحديد، وهو ملكك، فهو أشدّ الملوك وأعزّ[2]، وكانت الصخرة التي رأيتَ قد أرسلَ الله من السماء فيدقّ ذلك أجمع[3] نبيّاً يبعثه الله من السماء ويصير الأمر إليه[4].

فلمّا عبّر دانيال ومن معه رؤيا بخت نصّر، قرّبهم وأدناهم واستشارهم في أمره،

---

(١) في النسخة (ب) وردت العبارة على هذا النحو: «قسم أي ثلاث فرق».

(٢) في النسخة (ر): «وأعزّ ممن كان قبله»، وفي تاريخ الطبري ١/٥٥٥ «وأعزّ مما كان قبله».

(٣) في النسخة (ب): «فدقته»، وفي الطبعة الأوربية «أرسل الله ملكاً من السماء فدقّ ذلك جميعه». وفي طبعة صادر ١/٢٦٦ «فدقّت ذلك جميعه». وأثبتنا ما في نسختي (ت) و(ر)، والطبري ١/٥٥٥.

(٤) الخبر بطوله في تاريخ الطبري ١/٥٥٠ ـ ٥٥٥، وانظر عرائس المجالس ٢٦٢ ـ ٢٦٥.

فحسـدهم أصحابـه[1] وسعوا بهم إليـه، وقالـوا عنهم ما أوحشـه منهم، فأمـر، فحُفـر لهم أخـدود وألقاهم فيـه[2]، وهم ستّة رجـال، وألقى معهم سَبُعاً ضـاريـاً ليـأكلهم، ثمّ قـال[3] أصحابُ بخت نصّر: انطلقوا فلْنأكل ولنشرب، فذهبوا فأكلوا وشربوا، ثمّ راحوا فوجدوهم جلوسـاً، والسّبعُ مفتـرشٌ ذراعيه بينهم، لـم يخـدش منهم أحـداً، ووجـدوا معهم رجـلاً سابعاً، فخرج إليهم السابع، وكان ملَكاً من الملائكـة، فلطم بخت نصّر لـطمةً فمسخـه، وصار في الوحش في صورة أسد، وهو مع ذلـك يعقل مـا يعقله الإنسان، ثمّ ردّه الله إلى صورة الإنس، وأعاد عليه مُلكه، فلمّـا عاد إلى مُلكـه كان دانيـال وأصحابـه أكرم النّـاس عليه، فعاد[4] الفرس وسعَوا بهم إلى بخت نصَّر، وقالوا له في سعايتهم: إنّ دانيال إذا شرب الخمـر لا يملك نفسه من كثـرة البَوْل، وكـان ذلك عنـدهم عاراً؛ فصنـع لهم بخت نصّر طعاماً، وأحضره عنده، وقال للبوّاب: انظر أوّل من يخرج ليبول فاقتله، وإن قال لك: أنا بخت نصّر[5]، فقل له: كذبتَ، بخت نصّر أمرني بقتلك، [واقتله].

فحبسَ الله عن دانيال البولَ، وكان أوّل مَن قام من الجمـع بخت نصّر، فقـام مدلاًّ أنّه الملك[6]، وكان ذلك ليلاً، فلمّا رآه البوّاب شدّ عليه ليقتله، فقال له: أنـا بخت نصّر! فقال: كذبتَ، بخت نصّر أمَرني بقتلك، وقتله[7].

وقيل[8] في سبب قتْله: إنّ الله أرسل عليه بعوضةً، فدخلت في منخره، وصعدت إلى رأسه، فكان لا يقرّ ولا يسكن حتى يدقّ رأسه، فلمّا حضره الموت قال لأهله: شقوا رأسي، فانظروا ما هذا الذي قتلني. فلمّا مات شقّوا رأسه، فوجدوا البعوضة بأُمّ[9] رأسه، ليُري الله العبادَ قدرته وسلطانه[10]، وضعْفَ بخت نصّر، لما تجبّر قَتَلَه بأضعف مخلوقاته، تبارك الذي بيده ملكوت كلّ شيء، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد.

وأمّا دانيال فإنّه أقـام بأرض بـابل، وانتقـل عنها، ومـات ودُفن بالسـوس من أعمال خوزستان[11].

---

(١) في الطبعة الأوربية «فحسده أصحابهم».
(٢) في الطبعة الأوربية «فيها».
(٣) في الطبعة الأوربية «قالوا»، وهو غلط.
(٤) في الطبعة الأوربية «فعادوا»، وهو غلط.
(٥) في الطبعة الأوربية بعد بخت نصر «فقتله».
(٦) في النسخة (ر) إضافة «لا يقدم أحد عليه».
(٧) الخبر في عرائس المجالس ٢٦٦ ـ ٢٦٨.
(٨) القول لابن إسحاق.
(٩) في النسخة (ر): «البعوضة عاضّة بأمّ»، وكذلك في عرائس المجالس.
(١٠) الخبر في عرائس المجالس ١٦٨، وتاريخ الطبري ١/٥٥٥، ٥٥٦، ومرآة الزمان ١/٥٥٠.
(١١) عرائس المجالس ٢٦٩، مرآة الزمان ١/٥٥٧.

ولما أراد الله تعالى أن يردّ بني إسرائيل إلى بيت المقدس كان بخت نصّر قد مات، فإنّه عاش بعد تخريب بيت المقدس أربعين سنة[1]، في قول بعض أهل العلم.

ومَلَك ابنٌ له يقال [له] أولمردج[2]، فملك الناحية ثلاثاً وعشرين سنة[3].

ثمّ هلك، ومَلَك ابنٌ له بلتاصر سنةً[4]، فلمّا ملك تخلّط في أمره، فعزله ملك الفرس حينئذٍ؛ وهو مختلَف فيه على ما ذكرناه.

واستعمل بعده داريوش[5] على بابل والشام، وبقي ثلاثين سنة[6].

ثمّ عزله، واستعمل مكانه أخشويرش[7]، فبقي أربع عشرة سنة.

ثمّ ملك ابنُه كيرش العلميّ[8]، وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وكان قد تعلّم التوراة ودان باليهوديّة، وفهم عن دانيال ومن معه، مثل حنانيا، وعزاريا، وغيرهما، فسألوه أن يأذن لهم في الخروج إلى بيت المقدس، فقال: لو كان بقي منكم ألف نبيّ ما فارقتكم[9]، وولّى دانيالَ القضاءَ، وجعل إليه جميعَ أمره، وأمره أن يقسم ما غنمه[10] بخت نصّر من بني إسرائيل عليهم، وأمره بعمارة بيت المقدس، فعُمّر في أيّامه، وعاد إليه بنو إسرائيل[11].

وهذه المدّة لهؤلاء الملوك معدودة من خراب بيت المقدس، منسوبة إلى بخت نصّر، وكان مُلك كيرش اثنتين وعشرين سنة[12].

وقيل: إنّ الذي أمر بعَود بني إسرائيل إلى الشام بشتاسب بن لهراسب، وكان قد

---

(١) وقيل إنّ مدة مُلك بختنصر خمس وأربعون سنة، منها تسع عشرة سنة قبل تخريبه بيت المقدس، وست وعشرون سنة بعد ذلك، (تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٨٢).

(٢) في تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٨٢ «اوكردوج»، وفي الطبري ١/٥٤٣ «أو لمرودخ».

(٣) في تاريخ سنيّ الملوك «اثنتين وعشرين سنة».

(٤) في تاريخ سنيّ الملوك «ملك بلشصر ثلاث سنين».

(٥) في تاريخ الطبري ١/٥٤٣ «داريوش، الماذويّ».

(٦) في النسختين (ب) و(ت): «ثلاث سنين»، وفي تاريخ مختصر الدول ٤٨ ملك إحدى وثلاثين سنة.

(٧) في تاريخ الطبري ١/٥٤٣ «أخشوارش».

(٨) في الطبري «الغيلميّ».

(٩) في النسختين (ب) و(ت): «بما فارقني».

(١٠) في النسخة (ر): «يقسم جميع ما بقي مما غنمه».

(١١) الطبري ١/٥٤٤، ٥٤٥.

(١٢) الطبري ١/٥٤٥.

بلغه خراب بلاد الشام، وأنّها لم يبقَ بها من بني إسرائيل أحد، فنادى في أرض بابل: مَنْ شاء من بني إسرائيل أن يرجع إلى الشام فليرجع. وملّك عليهم رجلاً من آل داود، وأمره أن يعمّر بيت المقدس، فرجعوا وعمّروه[١].

وكان إرميا بن خلقيا[٢] من سِبط هارون بن عمران، فلمّا وطيء بخت نصّر الشام، وخرّب بيتَ المقدس، وقتل بني إسرائيل وسباهم، فارق البلاد واختلط بالوحش، فلمّا عاد بخت نصّر إلى بابل، أقبل إرميا على حمارٍ له، معه عصير عنب، وفي يده سلّة تين، فرأى بيتَ المقدس خراباً فقال: ﴿**أَنَّى يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا! فَأَمَاتَهُ الله مِائَةَ عَامٍ**﴾[٣]، ثمّ أمات حماره وأعمى عنه العيون، فلمّا انعمر بيت المقدس، أحيا الله من إرميا عينيه، ثمّ أحيا جسده، وهو ينظر إليه، وقيل له: ﴿**كَمْ لَبِثْتَ؟ قَالَ: لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ**﴾[٣]. قيل: ﴿**بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ، فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ** - ويتغيّر[٤] - **وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ**﴾[٥] فنظر إلى عظام حماره وهي تجتمع بعضها إلى بعض، ثمّ كُسي لحماً، ثمّ قام حيّاً بإذن الله[٦]، ونظر إلى المدينة وهي تُبنى، وقد كثُر فيها بنو إسرائيل، وتراجعوا إليها من البلاد، وكان عهدَها خراباً، وأهلها ما بين قتيل وأسير، فلمّا رآها عامرة ﴿**قَالَ: أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[٧].

وقيل: إنّ الذي أماته الله مائة عام ثمّ أحياه كان عُزيراً، فلمّا عاش قصد منزله[٨] من بيت المقدس، على وهْمٍ منه، فرأى عنده[٩] عجوزاً عمياء زَمِنَةً، كانت جاريةً له، ولها من العمر مائة وعشرون سنة، فقال لها: هذا منزل عُزير؟ قالت: نعم، وبكت، وقالت: ما أرى أحداً يذكر عُزَيراً غيرك! فقال: أنا عُزَير. فقالت: إنّ عزيراً كان مُجاب الدعوة، فادعُ الله لي بالعافية، فدعا لها، فعاد بصرُها، وقامت ومشت، فلمّا رأته عرفته.

وكان لعُزير ولدٌ وله من العمر مائة وثماني[١٠] عشرة سنة، وله أولاد شيوخ، فذهبت

---

(١) الطبري ١/٥٤٠.
(٢) في بعض النسخ «حزقيا».
(٣) البقرة/٢٥٩.
(٤) في النسخة (ر): «لم يتسنّه أي لم يتغيّر».
(٥) البقرة/٢٥٩.
(٦) الخبر في عرائس المجالس ٢٧١.
(٧) البقرة/٢٥٩.
(٨) في الطبعة الأوربية «منزلته».
(٩) في الطبعة الأوربية «عندها».
(١٠) في النسختين (ت) و(ر): «ثلاث»، وكذلك في الطبعتين: الأوربية، وصادر ١/٢٧٠، والتصحيح من النسخة (ب) وعرائس المجالس ٢٧٢.

إليهم الجارية وأخبرتهم به، فجاؤوا[1]، فلمّا رأوه عرفه ابنُه بِشَامةٍ كانت في ظهره[2].

وقيل: إنّ عُزيراً كان مع بني إسرائيل بالعراق، فعاد إلى بيت المقدس فجدّد لبني إسرائيل التوارة، لأنّهم عادوا إلى بيت المقدس، ولم يكن معهم التوراة، لأنّها كانت قد أُخذت فيما أُخذ، وأُحرقت وعُدمت، وكان عُزير قد أُخذ مع السبْي، فلمّا عاد عُزير إلى بيت المقدس مع بني إسرائيل، جعل يبكي ليلاً ونهاراً[3]، وانفرد عن النّاس، فبينما هو كذلك في حزنه[4] إذ أقبل إليه رجل، وهو جالس، فقال: يا عُزير ما يُبكيك؟ فقال: أبكي لأنّ كتاب الله وعهده كان[5] بين أظهُرنا فعُدِم. قال: فتريد أن يردّه الله عليكم؟ قال: نعم. قال: فارجعْ وصُمْ وتطهّر، والميعاد بيننا غداً هذا المكان. ففعل عُزير ذلك، وأتَى المكان فانتظره، وأتاه ذلك الرجل بإناءٍ فيه ماء، وكان ملَكاً بعثه الله في صورة رجل، فسقاه من ذلك الإناء، فتمثّلت التوارة في صدره، فرجع إلى بني إسرائيل، فوضع لهم التوراة يعرفونها بحلالها وحرامها وحدودها، فأحبّوه حبّاً شديداً لم يحبّوا شيئاً قطّ مثله، وأصلح أمرهم، وأقام عُزَير بينهم، ثمّ قبضه الله إليه على ذلك، وحدثت فيهم الأحداثُ، حتى قال بعضهم: عُزير ابن الله[6].

ولم يزل بنو إسرائيل ببيت المقدس، وعادوا وكثُروا، حتى غلبت عليهم الرومُ زمن ملوك الطوائف، فلم يكن لهم بعد ذلك جماعة.

وقد اختلف العلماء في أمر بخت نصّر وعمارة بيت المقدس اختلافاً كثيراً، تركنا ذكره اختصاراً.

ذكر غزو بخت نصّر العرب[7]

قيل: أوحى الله إلى برخيا بن حنيا[8] يأمره أن يقول لبخت نصّر، ليغزو العرب، فيقتل مقاتلتهم، ويسبي ذراريّهم، ويستبيح أموالهم، عقوبةً لهم على كُفرهم. فقال برخيا لبخت نصّر ما أُمر به، فابتدأ بمن في بلاده من تجّار العرب، فأخذهم وبنى لهم حَيْراً[9]

(١) في النسخة (ر): «فجاؤوا إليه».
(٢) الخبر في عرائس المجالس ٢٧٢.
(٣) في النسختين (ت) و(ر): «ليله ونهاره».
(٤) في النسخة (ب) «خربة».
(٥) في الطبعة الأوربية «وعهده الذي كان».
(٦) الخبر في تاريخ الطبري ١/٥٥٦، ٥٥٧.
(٧) تاريخ الطبري ١/٥٥٨، عرائس المجالس ٢٧٤، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٨٦، مرآة الزمان ١/٥٥٢.
(٨) في تاريخ الطبري ١/٥٥٨ «أحنيا».
(٩) الحَيْر: شبه الحظيرة. وفي الأصل «حرّان». وانظر مادّة «الحيرة» في معجم البلدان ٢/٣٢٨، ٣٢٩.

بالنّجف، وحبسهم فيه، ووكّل بهم، وانتشر الخبرُ في العرب، فخرجت إليه طوائف منهم مستأمنين، فقبلهم وعفا عنهم، فأنزلهم السواد[1]، فابتنوا الأنبار[2]، وخلّى عن أهل الحيرة، فاتّخذوها منزلاً حياة بخت نصّر[3].

فلمّا مات انضمّوا إلى أهل الأنبار، وهذا أوّل سُكْنَى العرب السوادَ بالحيرة والأنبار.

وسار إلى العرب بنجد والحجاز، فأوحى الله إلى برخيا وإرميا يأمرهما أن يسيرا إلى معدّ بن عدنان، فيأخذاه ويحملاه إلى حرّان، وأعلمهما أنّه يخرج من نسله محمّد، ﷺ، الذي يختم به الأنبياء؛ فسارا تُطوى لهما المنازل والأرض، حتى سبقا بخت نصّر إلى مَعَدّ، فحملاه إلى حرّان في ساعتهما، ولمعَدّ حينئذٍ اثنتا عشرة سنة.

وسار بخت نصّر فلقي جموع العرب، فقاتلهم، فهزمهم وأكثر القتل فيهم، وسار إلى الحجاز. فجمع عدنان العرب، والتقى هو وبخت نصّر بذات عِرْق، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزم عدنان، وتَبِعه بخت نصّر إلى حصون هناك، واجتمع عليه العرب، وخَنْدَقَ كلّ واحد من الفريقَين على نفسه وأصحابه، فكمّن بخت نصّر كميناً، وهو أوّل كمين عُمل، وأخذتهم السيوف، فنادوا بالويل، ونُهي عدنان عن بخت نصّر، وبخت نصّر عن عدنان، فافترقا.

فلمّا رجع بخت نصّر خرج مَعَدّ بن عدنان مع الأنبياء حتى أتى مكّة، فأقام أعلامها، وحجّ، وحجّ معه الأنبياء، وخرج معدّ حتى أتى رَيْسُوت[4] وسأل عمّن بقي من ولد الحرث بن مضاض[5] الجُرْهُميّ، فقيل له: بقي جوشم بن جُلهمة، فتزوّج مَعَدّ ابنته معانة، فولدت له نزار بن مَعَدّ[6].

---

(١) السواد: رستاق العراق.

(٢) الأنبار: بفتح أوله. مدينة قرب بلخ، وهي قصبة ناحية جُوزَجان، وبها كان مقام السلطان، وهي على الجبل. وهي أكبر من مَرْو الرّوز وبالقرب منها. (معجم البلدان ١/٢٥٧).

(٣) العبارة مطابقة لعبارة الطبري ١/٥٥٨، ٥٥٩، وعبارة ياقوت في معجم البلدان ٢/٣٢٩: «وخلّى عن أهل الحير فابتنوا في موضعه وسمّوها الحيرة لأنه كان حيراً مبنيّاً، وما زالوا كذلك مدّة حياة بخت نصّر».

(٤) في الأصل «ريشوب». وفي تاريخ الطبري ١/٥٦٠ «ريسوب» والمثبت يتّفق مع ياقوت في معجم البلدان ٢/١١٢ «رَيْسُوت: قال ابن الحائك: وفي منتصف الساحل ما بين عُمان وعَدَن رَيْسُوت وهو موئل كالقلعة، بل قلعة مبنيّة بنياناً على جبل والبحر محيط بها إلّا من جانب واحد».

(٥) في النسخة (ب) «ميعاض».

(٦) الخبر في الطبري ١/٥٥٩، ٥٦٠، عرائس المجالس ٢٧٤، معجم البلدان ٢/٣٢٩.